



## إضفاء الهالة القدسية على تاريخ سلاطين الدولة العثمانية

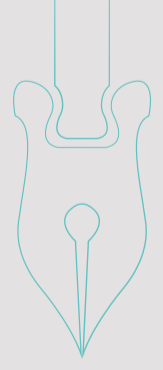
”  
السرديات الملفقة:  
كيف تم تضخيم دور سلاطين  
العثمانيين؟“

سعى الأتراك عبر سرديتهم التاريخية إلى ترويج الأكاذيب وافتعال الهالات القدسية لرموزهم وتميرها على الناس، حتى انتشرت وثبتت لدى العامة، فالسردية التركية العثمانية التي تعتبر أن ذروة إنجازاتها الثقافية والفكرية العثمانية كانت خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وأن الدولة العثمانية دخلت بعد نهاية عهد سليمان القانوني عام (1566) في فترة طويلة من التدهور أدت على مقدراتها السياسية والعسكرية وإنتاجها السياسي والثقافي والفكري، ولم يستطع بعدها الكتّاب الأتراك أن يطوروا فكرة جديدة تختلف عن الأفكار التي وضعها المفكرون المسلمون الأوائل عرباً وفرنساً، حتى القرن الثامن عشر الميلادي، وواقع الحال أن السرديات العثمانية اعتمدت صيغة السرد البطولي والأسطوري للسلاطين في كثير من الأحيان لإبهار القارئ وجعله يسبح في عالم من الوهم المصطنع.

من ابرز السرديات التي تم تميرها؛ الهرطقة الدينية والدروشة المتصوفة في نشأة وتكوين إمارة عثمان والدولة العثمانية فيما بعد، فقد كان للرؤى والأحلام نصيب كبير منها، وهو ما أثبتته "حاجي خليفة" بقوله: "وكان عثمان بك يحب العلماء والصلحاء، وكثير التردد إلى الشيخ أده بالي القرمانلي، وربما يبيت في زاويته. فرأى ليلة في منامة أن قمراً خرج من حضن الشيخ، فدخل في حضنه، وعند ذلك نبت من سرته شجرة عظيمة سدّت أغصانها الآفاق، وتحتها جبال راسيات ذات أنهار وعيون، والناس ينتفعون من تلك المياه. فلما استيقظ، قص رؤياه على الشيخ، فقال الشيخ له: "لك البشري بمنصب السلطنة، وسيعلو أمرك وينتفع الناس بك وبأولادك، وإنني زوجتك ببنتي هذه". فقبلها عثمان الغازي، وتزوجها فولد له منها أولاد، من جملتهم السلطان أورخان"، فنسجت القصة والرواية لتحقيق هدف واضح هو إضفاء الهالة والقدسية الدينية على عثمان وخلفائه من بعده.

ومن ذلك أيضاً قول زياد أبوغنيمة: "وقام العالم المؤمن اده بالي، وهو والد زوجة عثمان، بتسليم عثمان سيف والده في احتفال مهيب واطلق عليه لقب الغازي" زيادة في التأثير على نفسية القارئ بوضع هالة من التعظيم على الحدث!؛

ولم يكن هذا المثال الوحيد في الدولة العثمانية فلقد أضفي على بعض أحفاده كالسلطان محمد الثاني ما صنع منه أسطورة بسردية فتح القسطنطينية، وجعل منه البطل الرمزي الملحمي وغيره من السلاطين العثمانيين والتي صيغت الكثير من الأساطير والمبالغات، ومنها على سبيل المثال كتاب "جهاننما" "تواريخ آل عثمان" لمحمد نشري ت (1520)، والذي يعد أحد طلائع المؤرخين العثمانيين الأوائل وهو من المصادر التاريخية الرئيسة لدى المؤرخين العثمانيين الأوائل والمتأخرين، وقد أشار "كاتب جليبي أو حاجي خليفة" ت (1657) في كتابه "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" بقوله: "فيه أقوال واهية.."، ولقد اعتبر الكثير من المؤرخين الموالين للدولة العثمانية أن السلطان محمد الثاني هو المعني بـ"البشارة النبوية" الواردة في حديث النبي حول "فتح القسطنطينية".



### المراجع:

- (1) حاجي خليفة: فذلكة التواريخ، تحقيق: سيد محمد السيد(أنقرة: مؤسسة العالي أتاتورك للثقافة واللغات والتاريخ ، 2009م)
- (2) خليل اينالجيک: تاريخ الدول العثمانية من النشوء إلى الإنحدار، ترجمة: محمد الأرنأؤوط(بيروت: دار المدار الإسلامي ، 2002م)
- (3) زياد أبو غنيمة : جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين(عمّان : دار الفرافان ، 1983م)
- (4) علي محمد محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوَامِل النهوض وأسباب السقوط، (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2001م)
- (5) محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي (بيروت: دار النفائس، ط2، 1983م)
- (6) يلماز أورتونا: المدخل على التاريخ التركي، ترجمة: أرشد الهرمزي(بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2005م)